

شرفة بحر الإسكندرية

للدكتور حامد طاهر

في شرفتي المتى تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

يطيب لي أن أجلس

لساعات طويلة

أقرأ في كتاب

أو أنظر إلى زرقة مياه البحر

الذي يتلامس هناك

في نهاية الأفق

مع السماء المصايفية

بجوار شرفتي التي تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

تقيم خلال شهور الصيف

أسرة مصرية

متعددة الأجيال

المجد والجدة

والأب والأم

وابنتهما الشابة الجميلة

وولدان صغيران

أحيانا تجتمع الأسرة كلها

وفى أحيان أخرى

تجلس الشابة وحدها

وهي تنظر مثلى إلى زرقة مياه البحر

ومن الغريب

أنها لا تلتفت نحوى أبدا

لكنه تترك شعرها

يتطاير مع نسائم البحر

ويتحدث معى بدون انقطاع !

فى شرفتى التى تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

أحول أن أطرح من رأسى

كل هموم القاهرة

وأن أنسى تماما

كل الإساءات التى وقعت فى حقى

كما يحلو لى

أن أغوص عميقا فى الماضى

لكى أستخرج منه

بعض اللحظات الجميلة

التي عشتها

في فترات صباى وشبابى

لكن بعض الأسماء مع الأسف

بدأت تتلاشى

والموجوه لم تعد واضحة

كما في الصور الفوتوغرافية

التي اصفرت ، وتآكلت أطرافها ..

حينئذ أدرك أن الماضى لن يعود

وأن المشابهة التي تجلس في الشرفة المجاورة

وظهرها لى

هى الحقيقة الوحيدة

التي يبلل شعرها رذاذ البحر

وتفرده الريح فى اتجاهى ..

فى شرفتى التى تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

يملئ المزارع بالأعاجيب

بائع غزل البنات بزمارته المزهجة

وتاجر الروبايكيا

بميكرفونه المصاحب

وموزع الأنايب بدقاته الحادة

والشباب الذين يمدون المسجاجيد

على أرضية الشارع

لكي يعرضوها على السكان

بحناجرهم العالية

وأحيانا بعض المحواة

الذين ينفخون النار من أفواههم !

هذه وسائل عيشهم

وهم يفعلون ذلك

لجذب انتباه السكان

أما أنا ..

فلا يجذبني سوى رؤية جانب واحد

من وجه الشابة الجميلة

التي تقف وسط أسرتها

للفرجة والاستمتاع !

فى شرفتي التي تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

أستطيع أن أشاهد بوضوح

تقوس البحر فى شبه دائرة

وهذا يعنى

أننا نعيش فوق كرة كبرى

ويقال إنها تدور حول نفسها

كما تدور حول الشمس

لكننى لما ألاحظ أبدا هذا الدوران

ولعل هذا أفضل

حتى لما أفقد توازنى

وأسقط على الأرض

إذ كيف يستطيع أن يتماسك إنسان

وهو يقف على كرة متحركة؟!

فى شرفتى التى تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

تدخل المشابة إلى شقتها

ثم ما تلبث أن تعود

وبيدها كوب شاي

تضعه بعناية

على حافة الشرفة

وتبدأ في ارتشافه بهدوء

دون أى المتفات نحوى ..

أعلم أنها تعرف

كم أتوق لرؤية وجهها

وأن ألتقى بعينيها

في نظرة طويلة وعميقة

لكنها حريصة جدا

ولما تسمح لى

إلما بمتابعة شعرها المتطاير

مع نسيمات البحر

التي تهب علينا معا

بدون انقطاع !

فى شرفتى الى تطل

على قطاع صغير

من بحر الإسكندرية

أفاجأ ذات صباح

يحركة دائبة

فى المشقة المجاورة

إنها نهاية الصيف

وأصحابها يستعدون للمغادرة

يللمون الأثاث

وينزلون الستائر

ويستدعون السيارة

التي تحمل الحقائق

وهاهم يتخذون مقاعدهم

والشابة بجوار شباك السيارة

تجلس معتدلة القامة

وبصرها دائما للأمام

دون أن تلتفت

إلى البيت الذى كانت تسكنه ،

ولما إلى جارها

الذى لم تنظر أبدا

فى عينيه !

*** / *** ***